

65

قصص الأنبياء

محمد

(صلى الله عليه وسلم) (9)

عداوة قريش للنبي

بتأليف: د. عبد الرحمن بن عبد العزيز

وسوم: د. عبد الشافي سيد

إشراف: د. محمد مصطفى





لَمَّا رَأَتْ قَرِيشٌ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مُسْتَمِرٌّ فِي عَيْبِ
آلِهَتِهِمْ وَتَحْقِيرِهَا، فِيمَا يَدْعُو إِلَيْهِ وَفِيمَا يَتْلُوهُ مِنْ
قُرْآنٍ، وَرَأَوْا أَنَّ عَمَّهُ أَبَا طَالِبٍ هُوَ الَّذِي يَعْطِفُ عَلَيْهِ
وَيَنْصُرُهُ وَيَمْنَعُهُ مِنْهُمْ، وَلَا يُرِيدُ أَنْ يُسَلِّمَهُ لَهُمْ،

ذهب وفدٌ من صناديد الكفار، ورؤساء
قريش إلى أبي طالب، وعلى رأسهم أبو جهل وأبو سفيان
ابن حرب وعتبة وشيبة ابنا ربيعة والأسود بن المطلب،
وأبو البختري..

وقالوا له :

- يا أبا طالب، إن ابن أخيك قد سب آل هتنا، وعاب
ديننا، وسفّه عقولنا، وضلل آباءنا، فإما أن تكفّه
عنا، وإما أن تخلص بيننا وبينه، فإنك مثلنا على غير
دينه، فنكفيكه (يقصدون أنهم يتكفلون بقتله ولا
يشركون أبا طالب في ذلك، حتى لا يقع عليه لوم من
أعمام النبي وأقاربه) .. فردّ عليهم أبو طالب ردًّا
رفيقًا، وردّهم عن أذى النبي ﷺ، رداً جميلاً،
فانصرفوا عنه ..

واستمر رسول الله ﷺ يدعو إلى الله وإلى نشر دينه،
وإظهاره بين أهل مكة، فزاد حقد قريش عليه،
وزادت عداوتها للنبي ﷺ ولأصحابه.

وَأَكْثَرَتْ قُرَيْشٌ مِنْ ذِكْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،
وَزَادَ كَيْدَهَا لَهُ، فَأَخَذَ بَعْضُهُمْ يَحْرُضُ بَعْضًا عَلَيْهِ
وَعَلَى أَصْحَابِهِ ..

ثُمَّ ذَهَبَ صَنَادِيدُ الْكُفَّارِ وَسَادَةُ قُرَيْشٍ وَاشْرَافُهُمْ إِلَى
أَبِي طَالِبٍ مَرَّةً أُخْرَى، وَقَالُوا لَهُ:

يَا أَبَا طَالِبٍ، إِنَّ لَكَ شَرَفًا وَمَنْزِلَةً فِينَا، وَقَدْ شَكَوْنَا
إِلَيْكَ ابْنَ أَخِيكَ، لَكِنَّكَ لَمْ تَنْهَهُ عَنَّا وَنَحْنُ لَنْ نَصْبِرَ
عَلَى شَتْمِ آبَائِنَا، وَتَسْفِيهِ عَقُولِنَا، وَعَيْبِ آلِهَتِنَا .. فَإِنْ
لَمْ تَكْفِهِ عَنَّا، حَارِبْنَاهُ وَحَارِبُنَاكَ حَتَّى نُهْلِكَ كُفَا أَوْ
نُهْلِكَ نَحْنُ ..

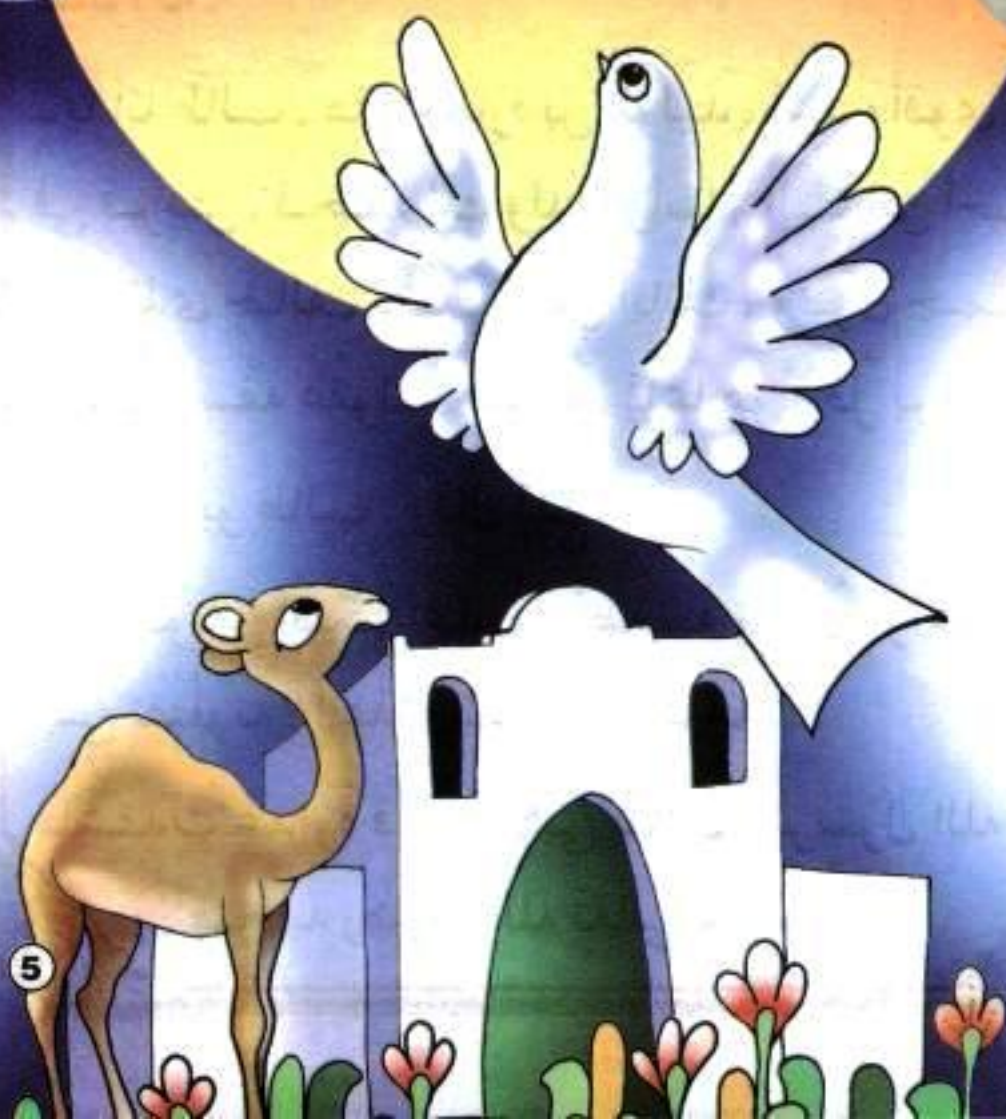
فَحَزَنَ أَبُو طَالِبٍ لِعَدَاوَةِ قَوْمِهِ لَهُ بِسَبَبِ مُنَاصَرَّتِهِ لِابْنِ
أَخِيهِ، لَكِنَّهُ لَمْ يَفْكُرْ أَبَدًا فِي تَرْكِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَوْ
تَسْلِيمِهِ لَهُمْ لِيَقْتُلُوهُ ..

وَذَهَبَ أَبُو طَالِبٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ لَهُ:

يَا بَنَ أَخِي، إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ جَاءُونِي وَقَالُوا لِي كَذًا
وَكَذًا (وَقَصَّ عَلَيْهِ مَا قَالُوهُ لَهُ) فَأَبْقَى عَلَى

وَعَلَى نَفْسِكَ، وَلَا تَحْمِلْنِي مِنَ الْأَمْرِ مَا لَا أُطِيقُ... فَظَنَّ رَسُولُ
اللَّهِ ﷺ أَنَّ عَمَّهُ قَدْ ضَعُفَ عَنْ نَصْرِهِ، وَأَنَّهُ سَوْفَ يَخْذُلُهُ
وَيُسَلِّمُهُ لِقَرِيشٍ لِيَقْتُلُوهُ، فَقَالَ لَهُ:

«وَاللَّهِ يَا عَمُّ لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي، وَالْقَمَرَ فِي
يَسَارِي عَلَى أَنْ أَتْرِكَ هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى يَظْهَرَهُ اللَّهُ أَوْ أَهْلِكَ دُونَهُ
مَا تَرَكْتُهُ»..



فقال أبو طالب :

— اذهب يا بن أخي ، فقل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لهم أبداً ..

فلما علمت قريش أن أبا طالب لن يتخلى عن نصرته رسول الله ﷺ ، وأنه لن يخذله ولن يسلمه لهم ، أخذوا أشد شاب في قريش وذهبوا به إلى أبي طالب ، فقالوا له :

— يا أبا طالب ، هذا عمارة بن الوليد ، أشد وأقوى فتى في قريش ، فخذهُ لك ولداً ، وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذي خالف دينك ودين آبائك ، وفرق جماعة قومك ، وسفه عقولنا ، فنقتله ، فإنما هو رجل برجل ..
فغضب أبو طالب ، وقال لهم :

— اتعطوني ابنكم أغذوه (أطعمه) لكم ، وأعطيكم ابني تقتلونه ؟ ! هذا والله لا يكون أبداً ..

فاشتدت عداوة قريش لأبي طالب ولرسول الله ﷺ ولأصحابه رضوان الله تعالى عليهم ..

وَحَرَضَتْ قُرَيْشٌ كُلَّ قَبِيلَةٍ مِنْ قَبَائِلِهَا عَلَى
مَنْ أَسْلَمَ فِيهَا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يَعْذِبُونَهُمْ
وَيَفْتِنُونَهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، لِيَرُدُّوهُمْ عَنِ الْإِسْلَامِ وَيُعِيدُوهُمْ
كُفَّارًا مِثْلَهُمْ، فَصَبَرَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى مَا لَاقَوْا
مِنْ أَذَى كُفَّارِ مَكَّةَ وَتَعْذِيبِهِمْ، وَمَنَعَ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ
ﷺ وَنَصْرَهُ بَعْمَهُ أَبِي طَالِبٍ، بِرَغْمِ أَنَّهُ كَانَ مُشْرِكًا..

وَدَعَا أَبُو طَالِبٍ أَقَارِبَهُ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي عَبْدِ
المُطَّلِبِ إِلَى نَصْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَأَجَابُوهُ وَهَبُوا لِنُصْرَتِهِ،
بِرَغْمِ شُرُكِهِمْ، إِلَّا أَبَا لَهَبٍ عَمَّ النَّبِيِّ ﷺ، فَإِنَّهُ انْحَازَ
إِلَى أَعْدَائِهِ.. وَكَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ ﷺ هُوَ وَزَوْجَتُهُ،
وَكَانَا يَحْرِضَانِ الْمُشْرِكِينَ عَلَى إِيْذَائِهِ وَإِيْذَاءِ أَصْحَابِهِ..
وَلَمَّا انْتَشَرَ الْإِسْلَامُ فِي مَكَّةَ، وَعَلِمَ بِهِ أَهْلُهَا،
خَافَتْ قُرَيْشٌ أَنْ يَنْتَشِرَ خَارِجَ مَكَّةَ بَيْنَ قَبَائِلِ الْعَرَبِ،
خَاصَّةً وَأَنَّ مَوْسِمَ الْحَجِّ كَانَ قَدْ اقْتَرَبَ، وَفِي هَذَا
الْمَوْسِمِ يَأْتِي الْعَرَبُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فِي الْجَزِيرَةِ
وَخَارِجِهَا، لِيَحُجُّوا إِلَى الْكَعْبَةِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ،

برغم شركهم بالله وعبادتهم الأصنام..
خافت قريش أن يلتقي رسول الله ﷺ بحجاج بيت
الله الحرام، فيدعوهم إلى الإسلام، فيعتنقوه وينصروا
الرسول ﷺ، فلا تستطيع قريش التصدي للعرب
كلهم وحربهم، وبذلك يخرج الأمر من أيديهم إلى
الأبد..

ولذلك اجتمع الوليد بن المغيرة، وكان أكبر قريش
سنًا مع سادة قريش وأشرافها وقال لهم:
- يا معشر قريش، إنه قد حضر الموسم، وإن وفود
العرب سوف تقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر
محمد، فاجتمعوا على رأي واحد فيه، ولا تختلفوا
فيكذب بعضكم بعضًا..

فقالوا له:

- قل لنا رأيًا، ونحن نرده خلفك..

فقال الوليد:

- بل قولوا أنتم، وأنا أسمع منكم..



فقال أحدهم :

- نقول إنَّ محمداً كاهنٌ ..

فقال الوليدُ :

- لا والله ، ما هو بكاهنٍ ، ولا يقولُ مثلَ كلامِ
الْكُهَّانِ الخَفِيِّ غيرِ المفهومِ ..

وقال آخرُ :

- نقولُ إنَّ محمداً مجنونٌ ..

فقال الوليدُ :

لا والله ، ما هو بمجنونٍ ، وليسَ به من سِمَاتِ
الْجُنُونِ شَيْءٌ مَّا نَعْرِفُهُ ..

فقال ثالثُ :

- نقولُ شاعرٌ ..

فقال الوليدُ :

- ما هو بشاعرٍ .. نحنُ أشعرُ العربِ وأعلمُهم
بفنونِ الشعرِ كُلِّها ، وما يقولُهُ محمدٌ ليسَ شعراً ..

فقال رابعُ :

- نقولُ ساحرٌ ..

فقال الوليد :

- ما هو بساحر .. لقد رأينا السحَّارَ، وهو لا يشبههم
فى شىء ..

فتعجب القوم، وقالوا :

- فماذا نقول فيه ؟ وبماذا نتهمه، حتى نصرف وفود
العرب عن الالتفاف حوله والاستماع إليه والإيمان به ؟ !
فقال الوليد يمدح القرآن الكريم :

- والله إن لقوله لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإن أصله
لعدق (أى كثير الشعب) وإن فرعه لجناة (أى كثير
الثمر) وإن قلتم فى محمد شيئاً من ذلك لعرف العرب
أنكم كذابون تفترون عليه ..

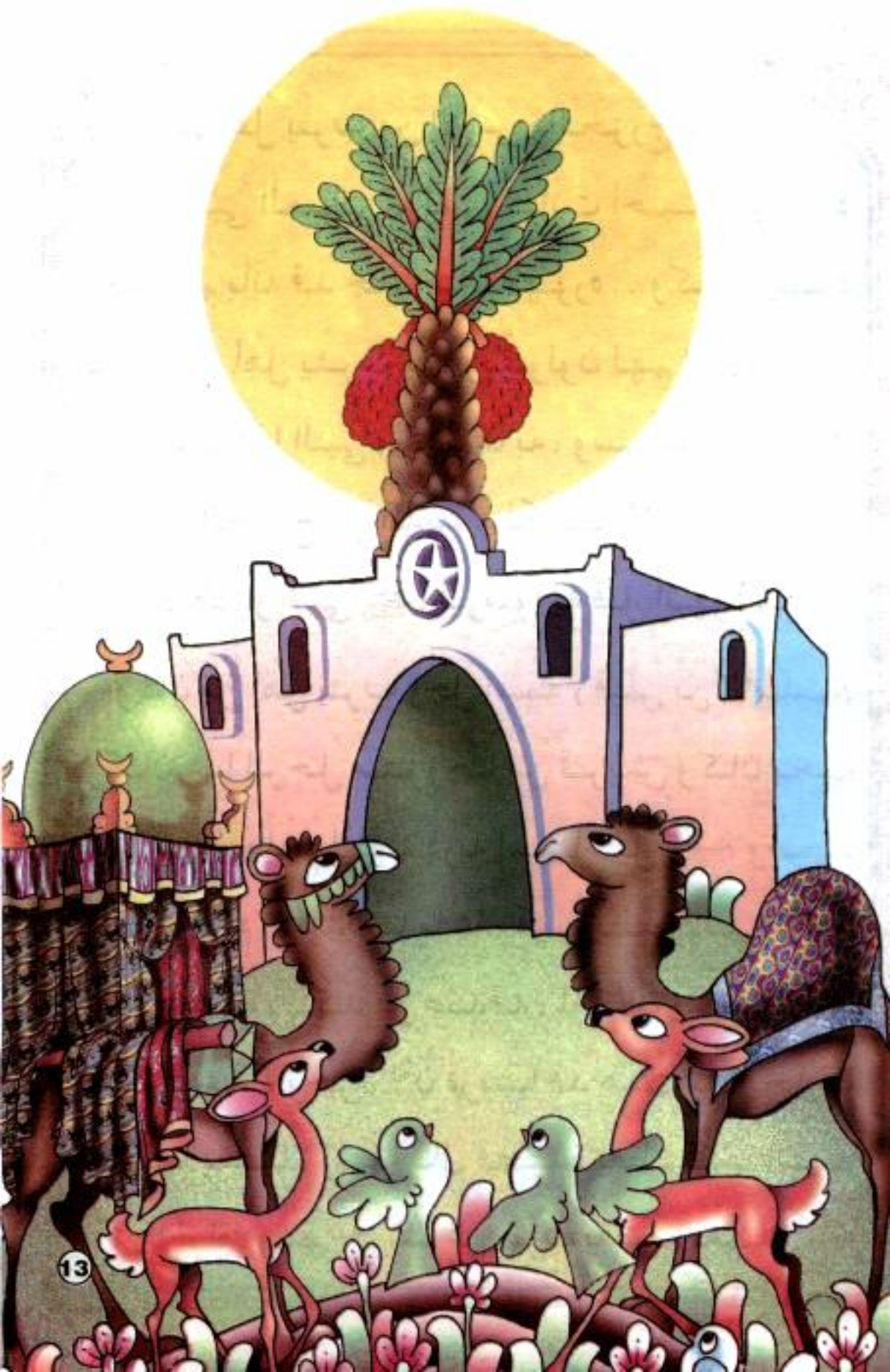
وأفضل شىء أن تقولوا إن محمداً ساحرٌ، جاء بقول
هو السحَّارُ، ليفرق به بين المرء وأبيه، وبين المرء
وأخيه، وبين المرء وزوجته، وبين المرء وقبيلته ..
وهكذا اتفقت قريش على أن يقول كلُّ منهم لمن
يلقاه من العرب إن محمداً ساحرٌ ..

فلما حان موسم الحج، وجاءت وفود العرب
إلى مكة للحج، أخذت قريش تحذرهم من لقاء النبي ﷺ
أو الاستماع إليه، وأخذت تتهمه بالسحر..

فعلمت قبائل العرب بأمر النبي ﷺ وبأمر الإسلام،
وانتشر ذكره في بلاد العرب، فخاف أبو طالب من
تحريض قريش لجماعات العرب وعامتهم على النبي ﷺ،
أن ينقلبوا عليه ويحاربوه ومن ناصره من عشيرته،
فلا يستطيع بنو هاشم وبنو عبد المطلب أن يتصدوا
للعرب جميعاً..

ولذلك قال أبو طالب قصيدة طويلة، تعود فيها
بحرم مكة، وتودد فيها أشراف قومه من قريش، حتى
لا يقوموا لحرب النبي ﷺ، لكنه أخبرهم في هذه
القصيدة بأنه لن يخذل النبي ﷺ، ولن يسلمه لهم،
حتى يهلك وهو يدافع عنه..

فلما انتشر أمر رسول الله ﷺ في العرب،



علم أهل يثرب من الأوس والخزرج بأنه قد
ظهر النبي العربي ، الذي كانت أخبار اليهود
تُخبرهم بأنه قد جاء زمان ظهوره .. وكان اليهود
يُخوفون أهل يثرب به ، ويقولون لهم إنهم سوف
يتبعون هذا النبي ويؤمنون به ، وسوف يخرجون
الأوس والخزرج من المدينة .. فكانت الأوس والخزرج
تترقب ظهور النبي ﷺ ، ليؤمنوا به قبل اليهود ..

وكان من أهل يثرب رجل اسمه (قيس بن الأسلت)
وكان هذا الرجل متزوجاً من قريش وكان يحب
قريشاً ويجلُّهم لأنهم ذرية إسماعيل عليه السلام وحماة
البيت الحرام ، ولهذا عندما علم قيس بظهور النبي محمد
ﷺ في مكة ، تأكّد من صدقه ، لما كان يسمعه من
اليهود عنه ، وحزن لأن قريشاً قد همت بأن يحارب
بعضها بعضاً ، ولهذا قال قصيدة يعظم فيها البيت
الحرام ، وينهى قريشاً عن حرب بعضهم بعضاً ،



وَيَأْمُرُهُمْ بِالْكَفِّ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، مُذَكِّرًا
إِيَّاهُمْ بِفَضْلِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ ، وَقَتْلَهُ لِأَصْحَابِ الْفِيلِ ،
الَّذِينَ جَاءُوا لِلْإِعْتِدَاءِ عَلَى بَيْتِهِ الْحَرَامِ ..
كَمَا قَالَ آخَرُونَ مِنَ الْعَرَبِ شِعْرًا يُدَافِعُونَ فِيهِ عَنْ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وَيَنْهَوْنَ قَرِيشًا عَنْ حَرْبِهِ ..

رقم الإيداع : ٢٠٠٣/٥٤٤٠

الترقيم الدولي : ٩٧٧ - ٢٦٦ - ٨٨٩ - ٠٠

(يتبع)

فَصْر الْأَنْبِيَاءِ

الكتاب التالي

محمد (صلى الله عليه وسلم)

(١٠)

مجادلة الكفار

احرص على اقتنائه

